

الغرب والشرق : المصطلح والصلات ومشكلات الأقليات الإسلامية في الغرب

د. عبد الله محمد جمال الدين

الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية

بإسلام آباد - باكستان

تقديم :

هذه أسطر معدودة كان مقدرا لها أن تكون حول «مشكلات الأقليات الإسلامية في الغرب» ولكنني وجدت أن كلمتي الغرب والشرق أصبحتا كلتاهما مصطلحا يعنى الآن مناطق من العالم ذات كيان سياسي وخصائص ثقافية واقتصادية وعسكرية متميزة، ولذا وجدت من المفيد أن نعرض بسرعة لمراحل تطور واستعمال هاتين الكلمتين، وجعلت ذلك أشبه بمدخل للحديث عن الموضوع الرئيسي، وقد استلزم الأمر حديثا سريعا عن تطور الصلات والعلاقات بين الشرق والغرب في القديم والحديث وأعقب ذلك بالحديث عما يعاني منه إخواننا المسلمون في بلاد الغرب والشرق مع محاولة تصنيف لهذه المشكلات، وإن كانت متداخلة ليس من السهل الفصل بينها، وما قدمته هنا لا يزيد عن كلمات محدودة في حدود ما أتيتح لنا من معلومات ومراجع، وأظن أن القضية تحتاج لمسا مباشرا واتصالا بتلك الأقليات في البلاد الأوربية كما تحتاج إلى عقد مؤتمر يعالج هذه الصعوبات بعد زيارات مكثفة ومعرفة دقيقة، بل ينبغي أن تكون هناك أجهزة معينة مهمتها الدراسة الجادة وتقديم الحلول المجدية دون ترك هذه القضايا الهامة وأمثالها للجهود الفردية ومحاسن الصدف.

وأي لزاما على أن أشكر سلطات الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد والمسؤولين عن رابطة الجامعات الإسلامية، فلولا نشاطهم وحرصهم ما كانت هذه السطور على تواضعها، والله من وراء القصد وهو الموفق والهادي لأقوم سبيل.

«الغرب» اصطلاح حديث جاءنا من عصور الاستعمار الأوربي، فقد قسم العالم إلى شرق وغرب، وعنوا بالغرب أوربا وأمريكا، أما الشرق فهي البلاد والتي خضعت للاستعمار في آسيا وأفريقيا، ولقد أصبح تعبير «الشرق الأوسط» يعنى المنطقة الممتدة بين شاطئ الخليج العربي والبحر الأسود شمالا، وأفريقية الاستوائية جنوبا، وما بين شبه

القارة الهندية شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا، فهذه المنطقة هى الشرق الأصلى التقليدى بالنسبة للأوروبيين منذ أكثر من ألف سنة، هى الشرق المنافسى للدولة اليونانية الرومانية ثم لأوروبا المسيحية، وباختصار البلاد الواقعة جنوب غربى آسيا وشمال شرقى أفريقيا هى بالنسبة للأوروبيين «الشرق»، أما الغرب فحدوده الغربية هى شواطئ الباسفيك وما يتبعها من أمريكا الشمالية، فهو يشمل كل سواحل الأطلنطى، ويمتد فى أوروبا إلى جبال «الأورال» الحدود الطبيعية التى تفصل أوروبا عن آسيا.

ولم يستعمل «الغرب» بمعنى المناطق ذات الكيان السياسى والثقافى والعسكرى والاجتماعى إلا منذ فترة قريبة، ربما فى نفس الوقت الذى راج فيه تعبيره «الشرط الأوسط» فى الأعوام الأولى من هذا القرن، وإن عرفت كلمة الشرق والغرب وعبرت كلتا الكلمتين عن حقيقة قديمة، ولا بد أن نشير إلى أن كلمة «الغرب» فى كتابات المسلمين فيما يسمى «بالعصور الوسطى» لم يكن يقصد بها أوروبا المسيحية وإنما كان يقصد بها بلاد الشمال الأفريقي وشواطئ المحيط الأطلنطى والأندلس.

وهكذا نرى أن كلمة «الغرب» حديثة الاستعمال، ولكنها قديمة فى معناها ودلالاتها، وقد عرف العالم القديم قوتين تتصارعان وتتنازعان السيادة، إحداهما فى الشرق والأخرى فى الغرب، تمثل ذلك فى صراع الفرس والروم ثم فى صراع الروم والمسلمين، ثم المسلمين مع الصليبيين، ثم فى صراع العثمانيين والأوروبيين وأخيرا فى الصلات الثقافية والسياسية والاقتصادية بين الغرب ممثلا فى أوروبا وأمريكا وبين الشرق ممثلا فى آسيا وأفريقيا.

ويختلف اتصال الشرق بالغرب فى الفترة الأخرى عن نفس الاتصال فى الفترات الأخرى؛ ففى الماضى كان اتصال الند بالند، أما فى المرحلة الأخيرة فقد انعكس الوضع ورأينا أنه اتصال المغلوب المستعمر بالغاب المستعمر. «والمغلوب مولع أبدا بالافتداء بالغالب فى شعاره وزينه ونحلته وسائر أحوال وعوائد» حسبما يقرر المؤرخ المغربى «ابن خلدون» فى مقدمته^(١).

وقد بدأت المرحلة الأخيرة - مرحلة تقليد الغرب - فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل

القرن التاسع عشر الميلادى، وذلك عندما فكر السلطان العثمانى «سليم الثالث» فى إقامة نهضة حربية وتنظيم الجيش وإنشاء المدارس العسكرية - بحرية وحربية - وفقا للنظم الأوربية الحديثة وقد استقدم عسكريين ومهندسين لهذا الغرض من السويد وفرنسا وإنجلترا والمجر، فدرّبوا فرق جيشه وفقا لأحدث الأنظمة وأنشأوا صناعات حربية، وتم تكوين أول فرقة نظامية فى الجيش التركى عام ١٧٩٦م، ثم توقفت المحاولة بعزل السلطان «سليم الثالث» ١٨٠٧م بيد أنها ما لبثت أن استؤنفت بعد القضاء على الفرقة الانكشارية فى عهد السلطان محمود الثانى عام ١٨٢٦م.

وقد حاولت مصر نفس المحاولة بعد أن تولى عليها «محمد على» عام ١٨٠٥م، فقد حرص على تكوين جيش حديث مدرب على أحدث النظم الأوربية، وترتب على ذلك تبنيه لمشروعات جديدة فى مجالات التعليم والهندسة والطب للوصول إلى ذلك الغرض، وعمل على استقدام الضباط والمهندسين والأطباء من البلاد الأوربية، كما عمل فى الآن نفسه على إرسال بعثات طلابية إلى أوروبا.

ونفس الشئ حدث فى «تونس»، فقد أنشأت جيشا نظاميا لحمايتها من الأجانب، وأقامت مدرسة للعلوم العسكرية أدارها ضابط إيطالى وتولى التدريس فيها خبراء من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا، وكان «خير الدين باشا» أول مدير وطنى لهذه المدرسة، وقد بلغ التأثير الغربى مدى أبعد عندما أعلن «البابى» بتونس أول دستور علمانى فى البلاد الإسلامية عام ١٨٩١م^(١).

أما أسرة «القاجار» التى حكمت إيران فى القرن التاسع عشر فقد أدخلت هى الأخرى النظم العسكرية الأوربية على جيشها، وفى سنة ١٨٥٢م فتحت كلية «دار الفنون» التى تولى التدريس فيها أساتذة من الأوربيين.

وهكذا لم يكن الاتصال بأوروبا يهدف فى مراحله الأولى إلا إلى الأخذ بأسباب القوة المادية بعد أن تعرضت جيوش المسلمين لهزائم فى كافة الميادين أمام الجيوش الأوربية المتطورة، ولكن الذى حدث أنه تسربت نظريات سياسة وعناصر ثقافية غربية مع هذا الإصلاح العسكرى، وحدث تغيير فى برامج التعليم وترجمت كتب مختلفة فى فروع

العلم والمعرفة، وأتى الخبراء إلى الشرق، وعلم بعضهم في المؤسسات الأجنبية التي افتتحتها المؤسسات التبشيرية، وانضم إليهم المتغربون الذين درسوا على أيدي الأوروبيين وأتقنوا اللغة والأساليب الأوروبية^(٣) كما استعان الاستعمار على التغريب بالبرامج الدراسية وبالصحافة وبالمؤتمرات المشتركة بين مسلمين ومستشرقين وبالمنظمات الدولية وخاصة «اليونيسكو»^(٤) وفي الآت نفسه أرسلت البعثات إلى مختلف المعاهد العلمية الأوروبية.

لقد كانت الحاجة ملحة إلى رجال يعرفون البلاد واللغات الأجنبية فكانت السفارات التي خرجت صفوة الدبلوماسيين والسياسيين، وبعد هؤلاء جاء طلاب الشرق الأوسط إلى أوروبا، فكانت أول بعثة يرسلها «محمد علي» إلى أوروبا عام ١٨٠٩م، وفي عام ١٨٢٣م كان هناك في أوروبا ٢٣ طالبا مصرياً يدرسون، ووصلت أول بعثة إيرانية في نفس الوقت، وفي عام ١٨٢٩م أرسل «محمد علي» ٤٤ طالبا للدراسة في «باريس» كما أرسل السلطان محمد الثاني عام ١٨٢٧م أول بعثة تركية مؤلفة من ١٥٠ طالباً للدراسة في عدة دول أوروبية، وبعد ذلك بسنوات ارتفع العدد فأصبح آفاً، وكل هؤلاء أسهموا في حمل الأفكار الأوروبية، وساعدوا على تحطيم النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في بلاد المشرق^(٥).

ولأول مرة يقبل الشباب المسلم أن يكون معلموه من الغربيين وأن يدرسوا لغة الغرب ويقرأوا كتبه، وعندما جاء آخر القرن الثامن عشر كان ضباط المدفعية قد تعلموا الفرنسية ليتمكنوا من متابعة دروسهم بها، ثم قرأوا كتباً أخرى أعمق أثراً، ونؤكد أن الإصلاح العسكري لم يكن الثمرة الأولى، ففي سنة ١٧٢٩م أنشأت أول مؤسسة للطباعة باستنبول وطبعت ١٧ كتاباً قبل أن تغلق أبوابها، وساعدت هذه الكتب المترجمة وكثرة المترجمين على ذيوع فكر الغرب ووصل تأثير النفوذ الأوربي إلى الهندسة المعمارية، بل إلى فن المعمار الإسلامي، والمثل على ذلك «جامع عثمانية» الذي تم بناؤه عام ١٧٥٥م.

وبحمله «نابليون بونابرت» على مصر بدأ عهد جديد في تأثير الغرب على الشرق،

لقد كانت بمثابة شلال جارف وأول شرارة كهربية في طريق التغريب، وفتحت عهداً من التدخل المباشر للإنجلو فرنسي في شؤون الشرق دام قرناً ونصف قرن.^(٧)

بل إن بعض سلاطين آل عثمان حرص على أن تصبح بلاده قطعة من أوروبا والغرب، فالسلطان «محمد الثاني» أمر بترك العمامة وبأن يكون الزي الأوربي هوزي كل الموظفين في الدولة مدنيين وعسكريين، وقلّد الشعب هؤلاء عن طريق المحاكاة، ثم جاء السلطان «عبد المجيد بن محمود»، فأصدر عام ١٨٣٩م «فرمان الكلخانة» الذي وضع أسس الإصلاح، موضحاً أن هذا الإصلاح يكمن في الحرية الشخصية والفكرية وفي التسوية الكاملة بين المسلمين وغيرهم، وبدأ عصر «التنظيمات» الذي اقتبس القوانين واللوائح من الحضارة الغربية وأنشأت المصارف الربوية، وتبدلت لوائح السجون، وسمح لغير المسلمين بأداء الخدمة العسكرية، ثم صدرت «مجلة الأحكام العدلية» ١٨٦٩م ليتم العمل بما فيها في المحاكم، وترتب على العمل بالقوانين الجديدة ظهور طبقة من القوانين والمحامين العلمانيين، لعبوا دوراً في تطبيق الأفكار الجديدة، واحتاج هؤلاء - كما احتاج الصحفيون وطبقة الموظفين والضباط الجدد - إلى نظام تعليمي وبرامج جديدة، ووجدوا ضالّتهم في اللغات الغربية وفي الأدب والتاريخ والجغرافيا والحقوق، ثم في الاقتصاد والسياسة الغربية.^(٨)

وفي ذلك الوقت كان «الخديو إسماعيل» يسير على نفس السياسة في مصر ويحاول اقتباس كل شيء من الحضارة الغربية، ونخضع لها خضوعاً كاملاً.^(٩)

وهكذا كان التغريب وإخضاع الشرق للغرب بعضه من عمل الغربيين وأكثره من عمل المتغربين من أبناء الشرق، وقد ترتب على ذلك الانحلال السياسي، وتفتت وحدة المنطقة، وخسارة أهل الشرق لهويتهم الواحدة، وصاحب انهيار النظام السياسي انحلال اجتماعي وثقافي مواز له، وأهملت القيم القديمة وأصبحت عرضة للسخرية والتندر، وحل محلها مجموعة من المقاييس الوضعية المستوردة من الغرب «لقد جاءت هذه التغيرات بفترة من الضياع والفوضى كانت عميقة الأذى بالنسبة للمجتمع ولنظام الحكم في الشرق الأوسط».^(١٠)

تلك هي جذور اتصال المسلمين بالغرب ، هذا الاتصال الذي أدى إلى الإعجاب بالأخير ثم الذوبان فيه ، يقول برنارد لويس : «إن البترول - وهو أهم مصدر للثروة - استخرجه الغربيون ليقدم حاجات الاختراعات الغربية ، وفي الجيش يستعمل سلاح الغرب وترتدى الملابس العسكرية على الطراز الغربى ، ويسير على ألحان موسيقى الغرب ، وما عندنا من أفكار ومعلومات جاءنا من الغرب ، ومعلوماتنا عن تاريخ أمتنا وحضارتنا مدين في قسم عظيم منه للغربيين ، والكتاب والفنيون والمهندسون والبناءون والحياطون يقتبسون من الحضارة الغربية مع أن المسلم لم يرتد زيا أجنبيا من قبل إلا في زمن المهاليك أو آخر القرن الثالث عشر الميلادى ، عندما أمر السلطان بلبس الرداء وغطاء الرأس وإطالة الشعر على الطريقة المغولية ، ولكن المغول مالبتوا أن اعتنقوا الإسلام فأهمل ذلك الأمر كله^(١) ، والآن أصبح اللباس الأوربى هو الغالب وهو رمز التقدم والرقى والمدنية ، وأصبحت الحضارة الغربية هي النموذج للمسلم حتى في لباسه وعدته ووسائل رفاهيته اليومية^(٢) .

ولكن هذا كله لا يعنى أن الشعب المسلم خضع للحضارة الغربية الوافدة دون أية معارضة ، فقد عزل السلطان «سليم الثالث» ؛ لأنه أكره العساكر على لبس الملابس الإنزكية والتزى بزى النصارى ، مع ما فى ذلك من مخالفة القرآن الشريف والشرع الخفيف ، وقد برر المفتى ذلك الخلع بقوله : «إن كل سلطان يدخل نظام الأفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على اتباعها لا يكون صالحا للملك»^(٣) .

وكان محمد عبده يهدف - فيما يرى البعض - إلى مقاومة النفوذ الغربى ويدعو للعودة إلى الإسلام الأصيل فى عقائده وتعاليمه الصافية ، وكان يكره الانقياد الذليل لمدينة الغرب ، وإن دعا إلى الاستفادة من الأساليب الغربية الحديثة فى العلوم والفنون ، ولقد قامت الحركات الإسلامية المسلحة فى أطراف بلاد العالم الإسلامى ، تدعو - فيما تدعو إليه - إلى عدم الخضوع الذليل لنظام الغرب ونظام الحكم المتغرب ، من هذه الحركات الحركة السنوسية ضد العثمانيين فالإيطاليين فى ليبيا ، والمهدية ضد الأتراك ثم الإنجليز فى السودان ، وحركة الثورة فى موريتانيا وثورة الملا فى الصومال . . الخ .

وإذا كان هذا هو حال تأثير الغرب والمتغربين في مناحى الحياة ونظام الحكم في بلاد المسلمين، فإن أهل الشرق قد بدأوا منذ زمن مبكر ينتقلون إلى بلاد الغرب لأسباب مختلفة، بعضها يتعلق بطلب العلم والاستفادة بما عند الغرب من مظاهر التقدم المادية، وبعضها للإقامة هناك حيث مجالات الرزق أرحب وأوفر، وقد هاجر العديد من المسلمين من بلاد أوروبا الشرقية ومن تركيا وبلاد الشمال الأفريقي، ومن الباكستانيين والهنود الذين لهم نشاط متميز في حقل الدعوة إلى الله، كذلك هاجر بعض المسلمين بحثاً عن الأمن والحرية التي افتقدوها في مواطنهم الأصلية.

الأقليات المسلمة في بلاد الغرب :

وصل عدد المسلمين في البلدان الأوروبية إلى حوالى ٢٧ مليون نسمة من مجموع سكان القارة البالغ ٦٦٠ مليون نسمة، أى نسبة المسلمين من إجمالى السكان حوالى ٤٪، وينتشر المسلمون في الأطراف الجنوبية الشرقية لأوروبا: في الاتحاد السوفيتي ودول البلقان خاصة يوغوسلافيا وبلغاريا، والمسلمون يشكلون أغلبية في دولة تقع في أوروبا الشرقية هى ألبانيا حيث يمثلون أكثر من ٧٠٪ من إجمالى السكان، وإن افتخر المسؤولون عن هذه البلاد بإلحادها وأعلنوا أنها الدولة الوحيدة الملحدة في العالم، ولهم مواجهات مع الإسلام ومع المسيحية على السواء، ومع ذلك فإن وفاة «نورخوجا» زعيم هذه السياسة يفتح الباب للتوجه نحو هذه البلاد، فهل في المنظمات والحكومات الإسلامية من يفكر في إعادة قنوات الاتصال مع الشعب الألباني، خاصة والقيادات الجديدة في هذا البلد تفتش عن منافذ لتعزيز علاقاتها مع بلاد العالم؛ مهما يكن من أمر فعدد سكان ألبانيا ٢,٦ مليون نسمة منهم ١,٨ مليون مسلم يتطلعون لنجدة إخوانهم^(١٣).

وقد أصبح في فرنسا الآن ما يقرب من ٣ مليون مسلم نتيجة هجرة الكثيرين من الدول الإفريقية التي كانت مستعمرات فرنسية ومن دول الشمال الإفريقي، فوق أن عددا كبيرا من الفرنسيين أنفسهم قد اقتنع بالإسلام وآمن به عن يقين، وبذلك أصبح الإسلام هو الدين الرسمي الثانى في البلاد، ويتمركز المسلمون في العاصمة «باريس» ثم في «مارسيليا» ثم في «ليون».

أما المسلمون في المملكة المتحدة (بريطانيا) فقد وصل عددهم إلى ١١/٣ مليون نسمة وهم يمثلون نسبة لا تقل عن ٢٪ من مجموع السكان، وفي ألمانيا الغربية يوجد مليون مسلم بنسبة ١,٧٪ من مجموع السكان، وفي إيطاليا (٧٠٠) ألف نسبتهم ١,٢٪ من إجمالي السكان، وفي اليونان ٢٥٠ ألف وهم ٢٪ من مجموع السكان، وفي مالطة ٤٠ ألف بنسبة ١,٢٪ من مجموع السكان، وفي بلجيكا ١٢٠ ألف وهم ١٪ من إجمالي السكان، والمسلمون في هذا البلد من أقوى العناصر نشاطا وعملا على حماية المسلمين والدعوة إلى الإسلام وقد بدأ العمل الإسلامي في هذا البلد عام ١٩٦١م، وفي عام ١٩٧٤م اعترفت السلطات الرسمية بالإسلام ديناً رسمياً، ونجح المسلمون في تأسيس مركز إسلامي في بروكسل لا يقل عدد أعضائه عن ٨٠ ألف مسلم، وفي أسبانيا وصل عدد المسلمين إلى ٢٩ ألف مسلم، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فإنه يوجد ٣ مليون مسلم نسبتهم ١,٤٪ من إجمالي السكان البالغ ٢١٦ مليون، وكان السيد «جيمس خليل» - وهو مسلم ورئيس سابق لاتحاد الجمعيات الإسلامية في أمريكا وكندا - قد قدر عدد المسلمين بـ ٤٠٠ ألف نسمة عام ١٩٦٤م، ولكن هذا العدد تضاعف في السنوات التالية بسبب هجرة كثيرة من المسلمين واستقرارهم في أمريكا وكندا وبسبب دخول كثير من السود والبيض في دين الله عز وجل، وبذلك يمكن القول بأنهم وصلوا إلى الرقم الذي ذكرناه آنفاً.

وينقسم المسلمون في أمريكا إلى قسمين: مهاجرون ومعظمهم من البلاد العربية والباقي من الهند وباكستان وإيران ويوغوسلافيا وألبانيا والبلاد الأفريقية، وعدد هؤلاء حوالي مليون، أما القسم الثاني فهم الذين اعتنقوا الإسلام ومعظمهم من السود وهم ينتمون إلى جماعة الأمة المسلمة ويسمون «بالبلاليين» نسبة إلى سيدنا «بلال» - رضى الله عنه - ويتزعم هؤلاء «وارث الدين محمد» نجل «أليجا محمد» مؤسس الجماعة الذي ادعى النبوة وانحرف عن الإسلام، وقد اغتيل عام ١٩٧٥م، فجاء ابنه وردّ الناس إلى الإسلام الصحيح، ومركز هؤلاء الرئيسى في «شيكاغو» ولهم العديد من المراكز والمدارس والمصارف والمحلات، كما أن لهم محطات إذاعية خاصة بهم، وجامعة إسلامية في ديترويت بولاية «ميتشجان»، كما يصدرون جريدة أسبوعية تحمل اسمهم، ويبدل

هؤلاء محاولات جادة للاتحاد مع الجماعات الإسلامية الأخرى، وخاصة جماعة «لويس فرقان» التي تضطهد البيض وتزعم أن السود شعب الله المختار، ووضع كهذا يتطلب تصحيح العقائد المنحرفة، والعودة إلى الإسلام مستمداً من ينباعه الأولى قبل أى شىء آخر. . . ويوجد في الأرجنتين ٣٥٠ ألف مسلم يمثلون ٤, ١٪ من مجموع السكان.

أما الاتحاد السوفيتي فعدد المسلمين فيه ٥٠ مليون نسمة يمثلون ١٩٪ من مجموع السكان البالغ ٢٦٠ مليون، ومن هؤلاء المسلمين ٣٣ مليون يعيشون في القسم الآسيوي من الاتحاد السوفيتي، و ١٦ مليون تقريبا يعيشون في القسم الأوربي، أما في بقية بلاد أوربا الشرقية فإنه يوجد في يوغوسلافيا ٣, ٨ مليون نسمة يمثلون ١٧٪ من إجمالي السكان البالغ ٢٢, ٢ مليون، وفي بلغاريا مليون وربع مليون نسمة يمثلون ١٤٪ من مجموع السكان البالغ ٨, ٨ مليون، وفي بولندا ٣٥٠ ألف مسلم وفي رومانيا ١٠٠ ألف مسلم، ونسبة المسلمين ١٪ في البلدين الأخيرين من إجمالي السكان البالغ ٣٥ مليون ثم ٢١ مليون على التوالي، وفي الصين الشعبية ٧٠ مليون نسمة بنسبة ٨٪ من مجموع السكان وهو ٩٠٠ مليون نسمة، ويعد المسلمون في يوغوسلافيا أحسن حالا من غيرهم من المسلمين في البلاد الشيوعية الأخرى نسبيا، حيث يسمح لهم ببعض الحريات وبممارسة شعائر الدين الإسلامي.

وهكذا نرى أنه قد وجدت وتكونت أقليات مسلمة في بلاد الغرب والشرق بأعداد لا يستهان بها، وأصبحت هذه الأقليات تتعرض لمشكلات وتعانى من صعوبات. نظرا لوجودها في مجتمعات غير إسلامية تختلف في تقاليدها وعاداتها وثقافتها عن البلاد والمجتمعات الإسلامية، والسطور التالية محاولة لعرض هذه الصعوبات.

مشكلات الأقليات المسلمة في بلاد الغرب :

(١) أولى هذه المشكلات ما يقوم به القسس والمبشرون ورجال الكنيسة من محاولة استقبال أبناء المسلمين والاختلاط بهم، وخصوصا الشباب الوافد من البلاد الإسلامية. إنهم يعملون على تيسير سبل العلم والعمل أمام هؤلاء ويذللون لهم العقبات ويتصلون بالمسؤولين لتوفير أماكن لهذا الشباب في معاهد العلم والجامعات،

ويساعدونهم بكل السبل الممكنة، ثم يدعونهم إلى حضور بعض اللقاءات والندوات، ويطلب منهم الاشتراك في المناقشات التي يعقدها هؤلاء في مقر إقامتهم أو في أماكن مستأجرة لهذا الغرض بعيدا عن الكنيسة، وقد يطلبون منهم الإسهام في تحرير بعض النشرات في مرحلة متقدمة، وكل هذا النشاط يهدف إلى تمجيد الفكر النصراني وبلبله أفكار الشباب المسلم، وهز ثقته بدينه، وبعد فترة يصبح ولاء هذا الشباب لأولئك المبشرين وينجحون في تسميم أفكارهم ويشجعونهم على الاختلاط وممارسة مظاهر الانحلال في الحضارة الغربية، وعلى إتيان ما حرم الله من شرب الخمر ومراقصة النساء... الخ، ثم تختار للشباب فتاة نصرانية تسر له العمل والإقامة، ثم تنجب هذه الأسرة أطفالا مسيحيين يتكلمون لغة القوم ويفعلون فعلهم ويتعلمون في معاهدهم، وبعد الإسلام غريبا عليهم، حتى لو بقي أحدهم مقيدا بسجلات المسلمين، وهكذا تصبح الأسرة وقد، تحولت إلى النصرانية بدون عناء كبير.

وتركيز المبشرين على دور النساء والأطفال في التنصير لا يخفى على أحد، إنهم يقولون:

«بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها - ذكورا وأنثا حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما أن النساء هم العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية»^(١٤).

وهناك نشاط صليبي يقوم على استغلال ظروف بعض المسلمين وفقرو وبطالة بعضهم فتفتح المراكز لإيوائهم وإطعامهم، وتعدّ التراتيب بحيث يحضر هؤلاء المسلمون القداس النصراني، وتقدم لهم كتيبات تتضمن آيات من القرآن الكريم مع بعض التعاليم النصرانية، فمثلاً سورة الصمد ويقابلها الحديث عن «اليسوع بن الله» أو الفاتحة ومعها صلاة النصارى، وهذا يهدف إلى بيان أن الإسلام والمسيحية شيء واحد، وبهذا الخلط يقربون من تنصيرهم^(١٥).

إن الأمر جد خطير وينبغي أن نحذر منه، وأن نحمل المسلمين المقيمين هناك والذين

نبحث بهم من الشرق، نحميمهم من أخطار هؤلاء المبشرين حتى لا يقعوا في حبال هذا التيار القاتل، ونحول بينهم وبين الذوبان في المجتمعات الغربية كما يراد بهم، ويكون ذلك عن طريق إقامة المدارس الإسلامية العربية مع تزويد الأقليات المسلمة بالكتاب والمعلومات الإسلامية، وتوفير الإمكانيات المادية للمؤسسات الإسلامية التي تساعد على مواجهة هذه المجهودات التبشيرية، وهذا ما نعرض له الآن.

٢) التعليم والإمكانيات المادية:

تعانى الأقليات المسلمة من عدم توافر فرص التعليم الإسلامى أمام أطفالهم، مما يحملهم على إدخال مدارس أوربية، تدرس العلوم الدينية المسيحية، وبعضها يصر على ممارسة شعائر العبادات النصرانية على مرأى من الطلاب، وقد يحملونهم على الذهاب إلى الكنيسة والاشتراك فى التراتيل الدينية، وبذلك يشب الطفل وقد أصبح لا يعرف عن دينه الإسلامى شيئا، ويعرف عن المسيحية الكثير، وقد رأينا كيف يركز المبشرون على الأطفال منذ نعومة أظفارهم، وقد تنبه بعض المسؤولين أخيرا إلى خطورة هذه المشكلة فطالبوا بإعفاء أبنائهم من هذه الدروس، ولكن هذا لا يكفى، ولا بد من توفير الكتب والمدرسين والمرجع وتهئية المناخ المناسب لتعليم أبناء المسلمين العقيدة الإسلامية الصافية وشيئا من القرآن والسنة والسيرة النبوية وتاريخ السلف الصالح.

وفى بلد مثل «النمسا» يعترف بالدين الإسلامى بصفة رسمية، ولكن لا يوجد فى طول البلاد وعرضها إلا ٤٥ مدرسا يعلمون التربية الإسلامية واللغة العربية. وقد يلتقى بعضهم ببعض لمناقشة المشكلات التربوية، وقد وفرت لهم سلطات التعليم هناك دراسات تربوية لمدة سنتين يدرسون فيها التربية وعلم النفس وسيكولوجية الطفل، ثم يتولون التدريس فى المراكز الإسلامية وفى المساجد، ويصحب هؤلاء الأساتذة تلاميذهم لصلاة الجمعة فى المسجد، وينظمون بعض الرحلات والأنشطة الرياضية، ويقوم المسؤولون عن المسلمين باختيار الكتب ووضع المناهج والمقررات، ولا يدرسون لطلاب المدارس فقط، بل لمن يرغب من أفراد الجالية الإسلامية، وتحمل حكومة «النمسا» رواتب هؤلاء المعلمين، ومع ذلك كله فإن التعليم لا بد أن يتم باللغة الألمانية

في المدارس الرسمية وفقا لقرار الحكومة ولذلك تضطر الجالية الإسلامية إلى تعليم أبنائها اللغة العربية والقرآن الكريم في المساجد، وتنظم دروس لهذا الغرض في العطلات الأسبوعية، وتتخذ اللغات التركية واليوغوسلافية والألمانية وسيطة في هذا التعليم، ورغم تواضع هذا اللون إلا أنه تراجع بعد بدء الدراسة لهذه البرامج في المدارس الرسمية^(١).

بل إن معهد اللغة العربية التابع لجامعة «فيينا» والذي مر على إنشائه مائة عام، يدرس العربية باعتبارها مادة ثانوية، ومديره نفسه ينصح طلابه ألا يدرسوها مادة أساسية، لأن مجالات العمل أمام خريجها محدودة وصعبة جدا، والمعهد يركز على تعليم اللهجات المعاصرة بحجة أنها ضرورية للتحليل اللغوي ولمن يزور مناطق الشرق، ونفس المدير يعترف أنه يُعَلِّم الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية - بجانب العربية - اعتمادا على كتابات المستشرقين، وفي معظمها ما فيه، ولا يرجع إلى المصادر الأم برغم إجادته للعربية، مع أن دراسات المستشرقين كانت دليل المستعمرين ومدخلهم إلى التعرف على العالم الإسلامي ومعرفة خصائصه اللغوية ومكوناته الثقافية وتحديد صور التعامل معه وتحقيق التحكم الثقافي في مؤسساته ومناهجه العلمية.

ومن بين أفراد المسلمين من لا يزال يحرص على تعليم أبنائه العربية والقرآن الكريم في المساجد وخاصة الأتراك، وكل هذا جيد، ولكن يبقى أن الإمكانيات محدودة والمهمة صعبة، إن أبناء المسلمين لا يستطيعون في الغالب مواصلة دراستهم الجامعية، وبالتالي فإن التأثير عليهم سهل، وتأثيرهم على الآخرين محدود، ويرجع عدم تمكنهم من مواصلة التعليم إلى حاجتهم، فهم ما هاجروا إلا بسبب هذه الحاجة، ولهذا لا تتوفر لهم الظروف المادية لمواصلة التعليم إلى آخر الشوط، وبعضهم قد لا يتوافر عنده الوعي فلا يلتزم بالإسلام كاملا.

وفي بلد مثل «بلجيكا» يتمتع المسلمون بنفس التيسيرات، ولكن حالتهم أفضل حيث تقام هناك دراسات تدريبية لمدرس التربية الإسلامية واللغة العربية في المركز الإسلامي، يستقدم لها الأساتذة ورجال الفكر من بلاد العالم الإسلامي؛ لأن مركز

«بلجيكا» يتبع رابطة العالم الإسلامي مباشرة، وتتولى تغطية نفقات النشاطات المختلفة، بينما الظروف المادية في «النمسا» - مثلا - لا تسمح بتغطية نفقات استقدام أساتذة من العالم الإسلامي، فوق أن معظم المفكرين يتكلمون العربية، ومدرسوا الدين الإسلامي في «فيينا» وغيرها يتكلمون اليوغوسلافية أو التركية، أى أن الأمر يتطلب نفقات لترجين أيضا، وهذا فوق طاقات الجمعيات الإسلامية بالنمسا، لأنها تعتمد على تبرعات أهل الخير، بل إنها تقتطع ٥٠٠ شلن من كل مدرس من راتبه البالغ ٧٥٠٠ شلن لتغطية متطلبات الجمعية، وقد تمكن اليهود من إقامة مدرسة ثانوية خاصة بهم معترف ببرامجها رسميا في العاصمة النمساوية، بينما لا يتمكن المسلمون من ذلك بسبب ضعف إمكانياتهم المادية.

وبمناسبة الحديث عن الإمكانيات المادية والاعتراف الرسمي من جانب الحكومات بالدين الإسلامي، أذكر أن الحكومة الأسبانية قد اعترفت بحق كل الجماعات في ممارسة الأنشطة والدعوة إلى مبادئها وتكوين الجمعيات وإقامة مقار لها، وكان ذلك في أوائل السبعينات، وقد نجح اليهود في استغلال ذلك الاعتراف وتمكنوا من إقامة ما لا يقل عن أربع «بيع» لهم في العاصمة الأسبانية «مدريد» وحدها فوق ما لا يقل عن سبعين «بيعة» في المدن الأخرى، والمسلمون منذ هذا التاريخ يحاولون إقامة مقر واحد يلتقى فيه أبناء العقيدة هناك يمارسون شعائر دينهم ويتشاورون حول مشكلاتهم وسبل حلها، لكن ذلك لم يحدث حتى الآن؛ لأن الانقسام والتمزق والفرقة بين الحكومات الإسلامية والعربية ينعكس حتى على مثل هذه الأشياء، فلا يفلحون في اتخاذ قرار واحد يعبر عن وجهة نظرهم جميعا، ويبلغونه للحكومة الأسبانية حتى تسمح لهم بالمضى قدما في مشروعاتهم، بل إن الحكومة الأسبانية تبرعت بقطة أرض واسعة لإقامة مجمع إسلامي متكامل عليها يشمل مسجدا وقاعة للمحاضرات ومدرسة ودار لإقامة الضيوف... الخ وتم ذلك في حفل حضره بعض كبار المسؤولين العرب، وكان ذلك في أواخر السبعينات، ومع ذلك فلا يزال الحال هو نفس الحال، بل إن بعض أهل الخير تبرع بمبلغ لهذا الغرض فقام ممثلو بلده بإيداع ذلك المبلغ في المصارف الربوية واستحلوا لأنفسهم ما حرم الله.

وأقصى ما استطاعته الجالية المسلمة في هذا البلد هو استئجار بعض الغرف في المدن المختلفة وإعدادها وتنظيمها بحيث تصلح لممارسة النشاط الإسلامي عليها قدر المستطاع ، ويقوم بالإشراف على هذا النشاط الإسلامي طبقة الطلاب الدارسين أو العمال ، وإمكانيات هؤلاء المادية لا تسمح بأكثر من تبرعات متواضعة تستخدم في دفع الإيجارات والنفقات الضرورية ، ووضع كهذا يهدد النشاط - على تواضعه - بالتوقف في أي لحظة .

كما أنه ليس هناك مدارس أو مؤسسات لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي ، ويضطر أبناء المسلمين إلى الالتحاق بالمدارس المسيحية ، ويدرسون نفس برامجها ويمارسون نشاط زملائهم فيها ، ويعرفون الكثير عن غير دينهم ولا يعرفون عن الإسلام إلا القليل ، وما لم نتدارك الأمر فعننى بتعليم هؤلاء وتربيتهم فإنهم سوف يذوبون في غيرهم ويصبح الإسلام غريبا عليهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ، إننى أرى وجوب مضاعفة العناية بهؤلاء ، لأنهم لا يتاح لهم ما أتيح لغيرهم ، وفي بلد مثل « بريطانيا » تنتشر المدارس والمراكز الإسلامية ، رسمية وغير رسمية ، وتستغل أيام العطلات للتعليم والتربية ودراسة العربية والقرآن الكريم ، وهناك من يرفعى هذا النشاط ويمنحه قدرا كبيرا من المال والاهتمام ، مثل المؤسسة الإسلامية « ليستر » Islamic Foundation. ، والبعثة الإسلامية في المملكة المتحدة ومقرها في « لندن » ، وهى تعمل في حقل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وحقوق التعليم والإعلام والنشر ، أما في بلد مثل « أسبانيا » أو « البرتغال » فلا نرى شيئا من ذلك ، مما قد يسبب نكسة الصحو الإسلامية هناك ، وخصوصا وجهات التبشير غير غافلة وتراقب الموقف بحذر وتخطط لما تريد .

٣ (سبل الدعوة إلى الله تعالى :

إن واجب الأقليات الإسلامية في بلاد الغرب ، يفرض عليها العمل على الاحتفاظ بدينها في هذه البلاد ، والابقاء على كيانهم وهويتهم حتى يمكنهم الاحتفاظ بذاتهم وخصائصهم وسط تلك المجتمعات الغربية ، وهذا يتطلب تبصير هذه المجموعات

بدينها وتعريفهم بالإسلام وبقضايا المسلمين، كما يجب تعريف غير المسلمين بالإسلام، والمثل والقدوة والتربية الحسنة لها دور جوهري في هذا الصدد، وغير خاف علينا أن الدين الإسلامي انتشر في مناطق عديدة من العالم عن هذا الطريق، طريق الأسرة الطيبة

وقد أدرك الغرب أنه لا مفر من دخول الإسلام إلى بلاده شاء أم أبى، واضطر إلى الاعتراف به ديناً رسمياً ثانياً في عدد من بلاده، ومع هذا فقد عملت الجهات النصرانية على السماح بدخول الإسلام إلى بلادها بالصورة التي يريدونها ولذلك رحبت ببعض الطرق الصوفية المنحرفة التي تصور الإسلام تصويراً سيئاً حتى أصبح من الممكن - مثلاً - أن ترى رجلاً صوفياً وماسونياً مسلماً وله ارتباطات بهذا النوع من النشاط، ومن عرف الإسلام عن هذا الطريق بقيت معرفته مشوهة على الأقل، وبعض الناس في إيطاليا - مثلاً - يزعم أن له حدوداً في بلاد الشرق المقدسة وهذا غير صحيح ولكنه يمثل نوعاً من العلاقات الوهمية، ويدخل في هذا النطاق ما تمارسه جهات التبشير من تقديم للإسلام بصورة خاطئة عن طريق تقديم البلاد التي تبعد عن نظام الإسلام كثيراً في أنظمتها وقوانينها على أنها الصورة المثلى للإسلام، وتقديم الكتاب المنحرف كتاباتهم على أنهم النموذج والممثل الحقيقي للدين والفكر الإسلامي، مع الثناء عليهم ومدحهم في كل مناسبة بمبرر وبغير مبرر، مع إصدار النشرات الدائمة وتكوين جمعيات الصداقة بين المسلمين وغيرهم والتركيز على الفهم الخاطئ لبعض المبادئ الإسلامية مثل القضاء والقدر والتوكل وعدم وجوب جهاد العدو، هذا مع السماح للفتنات المنحرفة غير المسلمة على تقديم نفسها وفكرها على أنها ممثلة للإسلام، فالحاديانية لهم وجود ومراكز في العديد من البلاد الغربية ويحاولون التأثير وتقديم أنفسهم على أنهم من المسلمين، والبهائيون يفعلون الشيء نفسه، وينظمون المعارض السنوية، ويحاولون الالتقاء بالشعوب الغربية، وتقديم كتبهم ونشراتهم بالمجان، وأمر بهذا الشكل لا بد أن يكون خطيراً؛ لأنه يترك الإنسان في حيرة واضطراب عندما يرى نفسه وسط هذا الطوفان العاصف يحيط به من كل ناحية، وللأسف الشديد فإن سلوك الجماعة المسلمة في بعض بلاد الغرب يساعد على تقييم الصورة وكثافة قناعاتها، عندما نرى الإخوة وقد تمزقت صفوفهم، وأصبحوا - على قلتهم - شيعاً وأحزاباً، لقد شاهدت الإخوة المسلمين في

أسبانيا - مثلاً - وقد بدأوا العمل صفاً وقلبا واحداً في هذا البلد، ولكنهم ما لبثوا أن سمحوا للشيطان فزين لهم، فإذا بهم فرق يعادى بعضها بعضاً، وكل يزعم أنه على صواب وأن غيره على باطل، ووصل الأمر إلى درجة تبادل الكلمات الجارحة بل واستخدام الأيدي والسلاح، والنتيجة أنه بدلاً من توحيد الجهود، أصبحنا نرى أكثر من جمعية تقام في مدينة واحدة ذات أعداد محدودة، وأضحى الجيران والأعداء وقد شاهدوا بأنفسهم سلوك الإخوة ومعاملة بعضهم للبعض الآخر فإذا بصورة الإسلام تهتز عندهم بل ويطلبون من السلطات الرسمية إبعاد هؤلاء المسلمين عن أماكن تجمع المواطنين لما يمثلونه من خطورة على أمن الناس، والقضية تتطلب رأب الصدع وجمع الكلمة ورفع لواء «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وحده، وينبغي أن نمثل الإسلام حقاً، وسبيلنا هو القدوة الحسنة والنموذج الرفيع.

وينبغي استغلال كافة السبل المتاحة للنشر والتعريف بالإسلام الحق فتبذل العناية بالكتيبات المكتوبة باللغات المختلفة، فالقشتالية تكون لغة التخاطب للشعب الأسباني، والإيطالية لغة تخاطب الشعب الإيطالي، ويجب تقديم الإسلام بهذه اللغات الأصلية عن طريق الترجمة من العربية أو عن طريق تأليف كتب أو إعداد نشرات أو مجلات تشرح حقائق الإسلام، ويمكن إصدار بعض المطبوعات بالتعاون مع المنظمات الإسلامية في تلك البلاد، مهمتها بيان موقف الإسلام من المشكلات اليومية والرد على الأسئلة المتعلقة بوضع الجماعة المسلمة أو توضيح الدين الإسلامي وموقفه من قضية ما، أو التعريف ببعض الحقائق عن الإسلام أو المجتمع المسلم، إن مخاطبة شعب ما باللغة التي يجيدها ويتحدث بها أجدي من توصيل المعلومات إليه بلغة أجنبية أخرى، إن هذا في الغالب لا يفيد إلا طبقة المثقفين ولكنه لا ينفذ إلى صميم الشعب، فوق أن الكتابة بغير اللغة الأم من إنجليزية أو فرنسية - مثلاً - يتضمن ما تريده النصرانية والماسونية وأمثال هؤلاء ممن يدسون أفكارهم بهدف الإساءة إلى الإسلام. ولغة مثل القشتالية لن تكون مجدية بالنسبة لمن يقطن أسبانيا وحدها، بل إنه من خلالها يمكن مواجهة ما يزيد على ١٥٠ مليون نسمة ينطقون تلك اللغة في أوروبا وأمريكا اللاتينية، وقل الشيء نفسه بالنسبة للإيطالية أو اليوغوسلافية مثلاً. إن هذه ناحية تجب العناية بها؛ لأن اللغة

المكتوبة أجدى وأبقى ، وعلينا أن نبدأ فنترجم معاني القرآن الكريم ترجمة سليمة إلى هذه اللغات ، بحيث يتولى هذا العمل مترجمون مخلصون لا يشك في ولائهم بالتعاون مع المنظمات الإسلامية ، ومع ترجمة أمهات كتب المصادر في الحديث النبوى والسيرة الشريفة ، والكتب التى ألفها مفكرون معاصرون من تلك الطبقة التى تحيد مخاطبة العقل الأوربى ، وتعرف نفسيته وواقعه ، كل هذا بالإضافة إلى المحاضرات وبرامج المراكز الإسلامية التى تحرص على تقديم الصورة الصحيحة للإسلام .

ليس هذا فحسب ، بل يجب الحرص على استغلال وسائل الإعلام الحديثة ، من سمعية وبصرية كلما كان ذلك ممكنا ، وللإخوة فى بعض البلدان الأوربية تجربة مفيدة فى هذا الصدد ينبغى المضى بها إلى نهايتها ، إنها على الأقل تفيد فى إثارة أذهان بعض الناس وجعلهم يتوجهون بأسئلة إلى الجهات المعنية يمكن الإجابة عنها عن طريق الرسائل أو البرامج الإعلامية نفسها .

وعلى الداعية أن يعمل على زيارة تجمعات الناس فى مواطن العمل أو فى المدارس والجامعات لتوضيح الصورة المتخيلة خطأ عن الإسلام من حيث وضع المرأة فيه ، وعلة تحريم شرب الخمر وحرمة أكل لحم الخنزير . . . الخ وكل هذا يتطلب توفير دعاة متفرغين لهذه المهمة لا يشغلون أنفسهم بغيرها ، وقد عمل الطلاب فى الاتحادات الإسلامية بالبلاد الغربية المختلفة على استقبال إخوانهم المسلمين وتبصيرهم وتحصينهم ضد عوامل الانحلال فى المجتمع الغربى ، «لقد أقاموا المراكز والجمعيات التى تحفظ طاقات الطلبة من الضياع وأخلاقهم من الانحلال وتسهم بدور مقدور فى تعريف الإسلام لمجتمعات الغرب وتحفظ على الطلبة والمبتعثين ثقافتهم الذاتية وانتماؤهم الإسلامى وتميزهم الحضارى»^(١٧) .

ومع الاعتراف بأهمية هذا الدور إلا أنه ينبغى أن نتجاوزه فنعين دعاة مخلصين متفرغين لهذا العمل ينفذون إلى صميم المجتمع الغربى وتجمعاته ويصححون أخطاءه ويرشدونه إلى الصواب ويواجهون الشبهات والسلبيات التى تأتى من قبل أقسام الدراسات الإسلامية والعربية والتاريخ والثقافة الإسلامية والتى تخضع لسيطرة اليهود

أو لفئة مغرضة من المستشرقين. إن هؤلاء يقدمون برامج ويعقدون ندوات ويلقون محاضرات لأهداف مخطط لها بعناية، ومن الممكن تقديم وجهة نظر الإسلام الصحيحة حول موضوعات الندوة أو غيرها ولو في صفحات محدودة، ومن الممكن أيضا عقد لقاءات مفتوحة لمناقشة أمثال تلك القضايا فيزول أثرها في الحال.

ونذكر في هذا الصدد بتوصيات مؤتمر الإعلام الإسلامى الأول الذى انعقد في «جاكارتا» من ١ إلى ٣ سبتمبر عام ١٩٨٠م ومنها:

- التعاون مع وسائل الإعلام الإسلامية الموجودة في أوروبا وأمريكا لدفعها وتنشيطها في الاتجاه الصحيح ودعم استمرارها في خدمة مسلمى هذه البلاد.
- إنتاج وسائل إخبارية أسبوعية عن العالم الإسلامى يمكن توزيعها بواسطة الأقمار الصناعية لتمكن المحطات الإسلامية من استقبالها بشكل منظم.
- العناية ببرامج وكتب ووسائل الإعلام للأطفال.
- العمل على إنتاج ما يخدم الدين الإسلامى وقضاياها من الأفلام السينمائية والتلفزيون والأشرطة الإذاعية ونشرات وكتب الجيب التى تشرح وجهة النظر الإسلامية في الموضوعات والقضايا الهامة بشتى اللغات^(١٨).

٤ - مشاكل الحياة اليومية:

تعيش الأقليات الإسلامية في بلاد الغرب في ظل ظروف تختلف عن ظروف إخوانهم في الشرق، فيواجهون مشكلات تختلف في طبيعتها عما يواجهه هؤلاء، فقد لا يتمكنون من تجهيز طعامهم ونحر ذبائحهم - مثلاً - على الطريقة الإسلامية، وقد لا يتمكنون من الاستفادة بالتييسيرات في الوجبات التى تقدمها بعض المصانع والجامعات؛ لأنهم لا يتأكدون من نوعية اللحوم أو الشرباب الذى يقدم لهم، وقد لا يكون من السهل عليهم دفن موتاهم في مقابر خاصة بهم حفاظاً على شعائر دينهم.

وقد وجدت بعض المحلات الإسلامية والمذابح في بعض البلاد الغربية حل هذه المشكلات، ولكن غلبت على بعضها الرغبة في تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح وخرجت عن الهدف فأصبحت الصورة مشوهة، وقد نجحت بعض المراكز الإسلامية في عقد اتفاقيات مع بعض المذابح يشرف فيها إخوة مسلمون على طريقة الذبح، كما نجح بعضها في استصدار إذن السلطات في بلادها وتم تخصيص مكان يستخدم قبة للمسلمين، كما وضع بعض المراكز الإسلامية هذه المشاكل في برامج أهدافها وعملت على التغلب عليها، ولكن هذه جهود فردية، والمسألة تحتاج إلى تضافر الجهود حتى يمكن التدخل إلى حل عام يفيد المسلمين في كل البلاد الغربية.

٥ - المسلمون في الدول الشيوعية:

أما المسلمون في الدول الشيوعية فيعانون بصفة خاصة من اضطهاد السلطات وقيامها بأعمال استفزازية ضدهم، ومحاولة حملهم بالقوة على الارتداد عن الإسلام، إنها تعمل على إخفاء أعدادهم الحقيقية، وتحرمهم من أبسط حقوقهم الإنسانية في التعبير، وفي معرفة الثقافة الإسلامية وتحرم عليهم التجمع أو تكوين الجمعيات، وقد حولت الكثير من المساجد إلى متاحف ومنعت الأنشطة الثقافية والدينية منعاً باتاً برغم ما تنص عليه بعض الدساتير من احترام حرية العقيدة والعبادة، وهم في الواقع يعطون أنفسهم الحرية الكاملة في محاربة الأديان واضطهاد المسلمين.

ومنذ وصول الشيوعية للحكم وهي تعمل على سياسة تفرغ المناطق التي فيها أغلبية مسلمة من مميزاتها عن طريق السماح بهجرة العناصر الروسية غير المسلمة إلى مناطق المسلمين، بسبب هذه السياسة أصبح المسلمون يشكلون نسبة ٥٢٪ من عدد السكان في مقاطعة «كازاخستان» بعد أن كانوا يمثلون ٧٠٪، وفي إقليم «كيرغيزيا» أصبحت نسبة المسلمين ٧٥٪ بعد أن كانت ٩٢٪، هذا بالإضافة إلى تشتيت المسلمين في غير مناطقهم الأصلية وحملهم على تغيير أسمائهم للحيلولة بينهم وبين كل ما هو إسلامي.

فهل فكرت الدول الإسلامية في إنقاذ الإخوة المسلمين في تلك المناطق من غير الحكم الأحمر؟ وهل يعمل أصدقاء روسيا في العالم الإسلامي على ممارسة الضغوط على حليفهم

روسيا حتى تتخلى عن سياستها المعادية؟ وهل يعملون على السماح للمسلمين بممارسة أبسط حقوق الإنسان؟ هل يعملون على السماح للمسلمين بفتح المدارس وإنشاء المراكز وتكوين الجمعيات وإصدار كتب تعيد انفتاحهم على ثقافتهم الإسلامية وتصبرهم بحقائق دينهم؟ أم أن هذا سيعمد تدخلا في الشؤون الداخلية؟ إننا لا نطلب لهم أكثر مما أقرته المواثيق الدولية واعترفت به المنظمات العالمية، ذلك ما نرجو ونتمنى، وما ذلك على الله ببعيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

عبدالله محمد جمال الدين

الهوامش

- (١) انظر: عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، مصر ١٩٣٠م ص ٣١٢.
- (٢) انظر: برنارد لويس: الغرب والشرق الأوسط، تعريب الدكتور نبيل صبحي، بدون بيانات طباعة ص ٧٥.
- (٣) نفسه ص ٥٦.
- (٤) انظر: د. محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية، دار الفتح بيروت ١٩٧٣م ص ١٠٤.
- (٥) انظر: برنارد لويس ص ٥٠.
- (٦) نفسه ص ٤٢ - ٤٤.
- (٧) نفسه ص ٥٩.
- (٨) انظر: د. محمد محمد حسين: المرجع السابق ص ١١ - ١٦.
- (٩) انظر: برنارد لويس: المرجع السابق ص ٦٢.
- (١٠) نفسه ص ٤٩.
- (١١) نفسه ص ٢١٣.
- (١٢) انظر: محمد فريد: تاريخ الدولة العثمانية، مصر ١٩١٢م ص ١٩٤، وانظر مقدمة «أقوم المسالك» لخبر الدين ص ٣٧ - ٥١، د. محمد محمد حسين المرجع السابق ص ٤٩.
- (١٣) انظر: مجلة العالم العدد ٩١، ٤ ديسمبر ١٩٨٥م..
- (١٤) انظر: أحمد عبد الوهاب: حفيقة التبشير بين الماضي والحاضر، القاهرة ١٩١٨م ص ١٨٨.
- (١٥) انظر: مجلة «الأمة» القطرية، العدد ٦٢ صفر الخير ١٤٠٦هـ أكتوبر ١٩٨٥م.
- (١٦) انظر: مجلة «الأمة» القطرية، العدد ٥٨ شوال ١٤٠٥هـ يونيو ١٩٨٥م.
- (١٧) انظر: مجلة «الأمة» القطرية، العدد ٥٧ رمضان ١٤٠٥هـ مايو ١٩٨٥م.
- (١٨) انظر: أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق ص ٢١٥.
- (١٩) انظر: مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، عدد إبريل ١٩٧٩م.
- (٢٠) انظر: مجلة «الأمة» القطرية العدد ٦٢ صفر ١٤٠٦هـ أكتوبر ١٩٨٥م.
- (٢١) انظر: سامي محمود: انتشار الإسلام والدعوة الإسلامية، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية ب ت ص ٨١ وما بعدها.
- (٢٢) انظر: الشيخ محمد الغزالي: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، القاهرة ١٩٦٦م ص ١٣٠ - ١٣٩ وانظر كذلك د. عادل طه: المسلمون في العالم، القاهرة ١٩٨٠م ص ١٠٧ وما بعدها.